

المناهج اللغوية الحديثة في مفهوم الدرس العربي

Modern linguistic approaches in the concept of the Arabic lesson

مومني بوزيد

m190318b@yahoo.fr

جامعة جيجل

تاريخ النشر: 2021/01/01

تاريخ القبول: 2020/12/09

تاريخ الاستلام: 2020/12/07

ملخص:

إن المناهج اللغوية الحديثة ليست بالغريبة عن علماء اللغة العرب قديما، لكنها كانت متداخلة، فلم تبرز مبادئ كل منهج على حدة، ولهذا جاءت دراساتهم متقطعة وغامضة، فهم على دراية بأن الحروف تنتظم في كلمات، والكلمات تنتظم في تراكيب، وأن كل وحدة على علاقة مع غيرها من الوحدات الأخرى دون إهمال المعنى أو السياق، لذلك لم يظهر لهم النقص كما ظهر في المناهج الغربية، فقد اهتم المنهج البنيوي بالشكل دون المعنى، ليأتي بعده المنهج التوليدي التحويلي ليتدارك ذلك فيهتم بالمعنى والتركيب، ثم يأتي المنهج التداولي فيجمل ما تضمنته المنهجان، فيهتم بالمعنى وبنساق الكلام، ولأجل ذلك، سنتطرق في هذا المقال إلى هذه المناهج، وهل هي مناهج جديدة ودخيلة على الدرس اللغوي العربي، أم أنها قديمة، موجودة في دراسات العرب منذ القدم وماذا يجب على الباحثين المحدثين العرب فعله، معتمدين على المنهج الوصفي لوصف الظاهرة وتحليلها.

كلمات مفتاحية: الترجمة، الدراسات اللغوية، المصطلح اللساني، المنهج البنيوي، المنهج التداولي المنهج التوليدي التحويلي.

Abstract:

The modern linguistic approaches are not alien to Arab linguists in the past, but they were interrelated and complementary to the need for the linguistic lesson at that time, the principles of each approach did not emerge separately, and for this their studies came in intermittent, abbreviated and obscure forms, they are aware that the letters are organized into words, and words They are organized into compositions, and that each unit is in a relationship with other units without neglecting the meaning or context, so the deficiency did not appear to them as it appeared in the Western

approaches, as the structural approach cared about the form without the meaning, after which the transformative generative approach comes to remedy that and it cares about the meaning and structure Then the pragmatic approach comes to outline the contents of the two approaches. It is concerned with the meaning and context of speech.

Keywords: Linguistic term, translation, linguistic studies, the generative transformative approach, the structural approach, the pragmatic approach

مقدمة:

دخلت اللغة العربية ميدان الدراسات اللغوية منذ القدم، غير أن البعض من العلماء يجزم بأنها لا دخل لها في الدرس اللساني ولا دور لها في تكوينه، وذلك لاختلاف بيئة وزمن العلماء الغربيين والمفكرين العرب، إلا أن البعض لا يتفق مع هذا الاتجاه، مثل الدكتور "عبد الحمن الحاج صالح" الذي كشف أن هذا الدرس اللساني موجود في أعمال و دراسات العرب منذ القديم، وذلك بالرجوع إلى دراسة التراث، إذ اكتشف أن الدراسات اللسانية في بدايتها الأولى _سواء عند العرب أو الغرب _كانت تنحصر في خدمة اللغة من المنظور الديني، ف"نجد هذا عند الهنود الذين بدأوا بحثهم اللغوي لخدمة نصوصهم المقدسة (الفيدا)، ومثل هذا نجده عند الصينيين إذ كانت دراسة النصوص البوذية وغيرها سببا في نشأة المعاجم الصينية، وكذلك كانت دراسة الشعر الحماسي والديني في اليونان دافعا للتأليف اللغوي، وبدأت دراسة اللغة والنحو في العبرية لخدمة الكتاب المقدس"¹، فعند العرب نجد أثناء محاولة حفظ القرآن الكريم من تفشي اللحن فيه، تكوّنت لديهم مجموعة من المفاهيم والنظريات اللغوية ذات قيمة علمية عالية، ومن أمثال هؤلاء العلماء "الخليل أحمد الفراهيدي الذي بحث في اللغة واكتشف علم العروض، وكذلك سيبويه الذي ترك لنا تراثا علميا زاخرا ذا قيمة علمية إلى يومنا هذا.

-يقول "أندري مارتيني": "إنّ اللغة، أداة تواصل تحلّل وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة في كل مجتمع إنساني عبر وحدات تشتمل على محتوى دلالي، وعلى عبارة صوتية"² ويبدو واضحا أن "مارتيني" يركز على وظيفة هامة للغة، ألا وهي وظيفة

التواصل بين متكلميها، وعنده أن اللغة تقوم على أساس الوحدات الصوتية التي تشتمل على دلالات معينة، أما اللغة عند دي سوسير³ فهي عبارة عن نظام من العلاقات التي توحد المعاني والصور الصوتية فيه³.

ولا يفوتنا أن نذكر أن العلماء العرب قد جمعوا في تعريفاتهم عددا من المسائل، تماثل نظائرها عند الغربيين المحدثين، وتكاد تقاربهم من حيث الكمية، وهذه المسائل هي: اللغة عبارة عن أصوات، اللغة تتألف من كلمات، اللغة وسيلة التعبير عن أغراض القوم، اللغة تنوع وتختلف باختلاف أصحابها، اللغة مواضعة واصطلاح، اللغة وضعت للدلالة على المعاني، أصوات اللغة محدودة متناهية وكذا مفرداتها، الاصطلاح قائم بشكل أو بآخر ضمن اللغة، كلمات اللغة تتكون من وحدات منفصلة، اللغة قائمة على مستويين هما: مستوى الأصوات ومستوى الكلمات، اللغة فعل لساني، اللغة ملكة لسانية، اللغة عملية مقصودة لذاتها، اللغة ميزة إنسانية مكتسبة...⁴.

أ- المنهج البنيوي: على مر العصور قدم العلماء عدة إشكالات في حقل الدراسات اللغوية إذ كانت اللغة المحور التي قامت عليه هذه الدراسات، فاللغة مختلفة من بيئة لأخرى ومن مجتمع لآخر ومن حضارة لأخرى، فبتعدد كل هذا أدى إلى تعدد تطبيقاتها وبياناتها، إذ قامت الدراسات اللغوية على جميع اللغات دون تمييز بين لغة على أخرى، فنجد اللغة العربية من بين هذه اللغات التي لقيت حظا هي الأخرى في الدراسات اللسانية، وقد قامت هذه الأخيرة في بادئ الأمر مع اللساني الغربي "فردينان دي سوسير" في منتصف القرن التاسع عشرة، الذي جعل اللسانيات واضحة الحدود وذلك بأنها: "العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية، تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا على تركه التعليمية أحكام المعيارية"⁵، فقد نهج المنهج الوصفي، والذي يكمن في دراسة الظواهر اللغوية في فترة زمنية محددة، متسمة بالطابع العلمي والموضوعي، وتمييزها بالشمول والانسجام.

وعدّ اللسانيّون الوصفيّون العرب المنهج الوصفي هو المنهج الأكثر موضوعية في دراسة اللغة، والأقرب إلى الدقّة والعلمية من غيره من المناهج التقليدية، فأصبح الوصف هو مهمة اللساني الأولي⁶، واقتنع اللسانيّون بأن يكونوا واصفين للظواهر اللغوية لا مفسّرين لها⁷، وانطوى العمل الوصفي اللساني على ثلاثة إجراءات كبرى، هي: الاستقراء، والتصنيف، والتفعيد، مغيباً وملغياً بذلك الإجراءات التفسيرية.

وهذا ما يؤكده الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح إذ يقول: "لابد للتنويه ها هنا أن الذين نعنهم هم العلماء الأولون الذين عاشوا في زمن الفصاحة اللغوية العفوية، وشافهوا فصحاء العرب، وقاموا بتحرّيات ميدانية واسعة النطاق للحصول على أكثر مدوّنة لغوية شهدها تاريخ العلوم اللغوية"⁸.

إن هؤلاء توصّلوا إلى أنجح الطرق لضبط مناهج التحليل اللغوية، وهذا ما عمد إليه (عبد الرحمن الحاج صالح) من دراسته للتراث العربي الأصيل إلى إثبات مناهج عربية لها جذورها، وأنها ليست مستنبطة من الدراسات الغربية كما يظنّ البعض، فنجد الأولين قد جمعوا ودوّنوا واستنبطوا الأحكام، ووضعوا شروط زمانية ومكانية، واعتمدوا السماع في جمع اللغة العربية وتدوينها، فحدّدوا فصاحة ما يروى إليهم من خلال القيود الزمانية والمكانية.

إن تحديد نقطة الصفر لبداية اللسان الفصيح من نزول القرآن الكريم ، يعدّ مرجعا لبداية الفصاحة السليقية، أما عن انتهاء زمنها فحدّد في القرن الرابع للهجرة بشهادة ابن جني⁹، فأصبح الفصيح الزماني والمكاني ممثّلان على شكل رسم بياني لمحورين يلتقي أحدهما بالآخر في النقطة الصفر.

أما الحدود المكانية للسماع أو للفصاحة، أي المناطق التي تكون فيها العرب الفصيحة، فحدّدت في البوادي وليست في الحواضر، وألا تكون لها حدود مع البلدان المجاورة الأجنبية، ويشترطون في الذي يأخذون عنه اللغة ألا يكون قد يتكلّم لغة أخرى، فيقوم الراوي بطرح الأسئلة المباشرة وغير المباشرة على سكان البوادي سواء من النساء أو الرجال وحتى الغلمان، وبعد الانتهاء من جمع اللغة من

أفواه العرب تأتي مرحلة أخرى وهي مرحلة التبويب والتصنيف، فوضعوا المعاجم كمعجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي...عند انتهاء هذه المرحلة جاء علماء النحو والصرف ونظروا فيها وقاموا بوضع كليات للجزئيات، إذ قال البغدادي في هذا الشأن: "اعلم أن للغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب، وأما النحوي فشأنه أن يتصرّف فيما نقله اللغوي وقيس عليه"¹⁰، أي بعد السماع تأتي مهمة النحوي بوضع القواعد ليصنّفها ويقتنّها ويضعها للقياس، (اخضاع الكلام المسموع من العرب إلى التقنين والتصنيف).

من خلال ما سبق نستنتج أن العرب كانت تعتمد على الاستعمال وذلك عن طريق المشافهة المباشرة، أي الاتصال المباشر بالواقع اللغوي، ثم مبدأ الاستنباط والاستقراء، أي جمع المادة ثم استنباط القواعد كما يفعله سيبويه في كتابه (الكتاب) حيث يستقري بالقرآن الكريم وكلام العرب، ثم يستنبط من هذا الاستقراء نماذج لغوية، أما التصنيف فنجدّه قد قسّم الكلام إلى اسم وفعل وحرف. أما المنهج البنيوي فنجدّه منغرساً في التراث العربي، بالملاحظة المباشرة أثناء قراءة النص، كما عبّر عنه "نهاد موسى" الذي انتهى إلى وجود ما يعرف بـ"التحليل إلى المؤلفات" حيث يتم استخراج الوحدات التي يتم إدراجها في نظام تقابلي بتقطيع مدرج الكلام إلى أدنى القطع الصوتية في الفونولوجيا وهذا التحليل يعتمدونه كذلك بالنسبة للدوال، حيث يقطعون الكلام إلى أصغر أجزاءه ما يدل على معنى ثم تصنّف الدوال إلى أصناف.. وقد أثبت "عبد الرحمن الحاج الصالح" من خلال هذا التحديد ان البنيوية نزعت في تحليلاتها إلى المذهب الأرسطو قائلاً "هو مبدأ الهوية الذي يكتفي أساساً بتشخيص العناصر والوحدات، بانها كل ذلك على مبدأ التقابل بين العناصر الصوتية، وهو أساس النظرة التشخيصية التي ينظر أصحابها دائماً إلى الأشياء كذوات ولو كانت أحداثاً و هي نظرة تأملية محصنة"¹¹، بحيث يقوم الباحث بوصف العناصر الصوتية محاولاً الوصول إلى تكوين الوحدات المورفولوجية، لتكون بدورها العبارات أو الجمل ويبرز بذلك العلاقة القائمة بين

المعنى والمبنى، فقد كان هذا هدف النحاة وعلماء اللغة في التراث العربي حيث اهتموا بالعلاقة بين المعنى والمبنى، فبدأوا بتحليل أصغر الوحدات، المتمثلة في الأصوات والحروف، ثم ارتباطها ببعضها لتكوين النظم، يقول الجرجاني في هذا الصدد "ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض... والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف والتعليق فيما بينهما طرق معلومة... تعليق اسم باسم وتعليق اسم بفعل وتعليق حرف بهما".¹²، فتحديد المكوّنات الكبرى للجملة من خلال الاعتماد على علاقات خاصة بين كلمة وأخرى داخل الجملة، كذلك اتبع النحاة أساس "التوزيع" بحيث أن الوحدات اللفظية مرتبطة بما يحيط بها أو بما يجاورها من وحدات أخرى، ولم يقع اهتمامهم على الوحدات اللفظية بغرض تشخيصها، بل بإجراء الشيء على الشيء أو حمل عنصر على عنصر آخر وهو القياس.

والقياس كما عرّفه الحاج الصالح "وهو ما يثبت العقل من انسجام وتناسب بين بعض العناصر اللغوية، والعلاقات التي تربطها، ومن جهة أخرى ما من تناسب بين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي من الأصول إلى الفروع"¹³. كما نجد هذا المبدأ عند العرب في سياق استدلالهم على كثير من المسائل، ومن ذلك أن البصريين جعلوا عامل الرفع في الفعل المضارع قيامه مقام الاسم أو حلوله محله.

إلا أن بعض اللغويين يرون أن البنيوية العربية قامت على فكرة الوصف الخارجي للظواهر اللغوية دون تقديم أي تفسير أو تحليل لها، وهذا ما دفعها إلى رفض العديد من الموضوعات والقضايا والمفاهيم التي كانت موجودة في الدراسات اللغوية القديمة القائمة على أساس منطقي عقلي فلسفي، وهكذا حين يؤلف اللسانيون الوصفيون العرب في اللسانيات، نجدهم يكتبون مصنفات في نقد النحو، وإعادة وصف اللغة العربية القديمة، ولا يشعرون بأنهم معنيّون بدراسة اللغة العربية المعاصرة أو بحل مشكلاتها¹⁴، وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبدالقادر الفاسي

الفهري والذي يرى "أن من مشكلات البحث اللساني الوصفي العربي، ادّعاء المنهجية والعلمية، فاللسانيون الوصفيون العرب ربطوا المنهج الوصفي بالعلمية، ونفوا ذلك عن سائر المناهج، يقول: "فتمام حسّان، شأنه شأن الوصفين، يرفض العلة، ونظرية العامل، والإعراب التقديري، وعدداً من الأصول والمفاهيم الموجودة في التراث، ويرفض الخروج عن شيء ملاحظ إلى شيء مجرد؛ بدعوى أن هذه الأشياء - في نظره - ليست من العلم، وأن العلم يجب أن يكتفي بالملاحظة الخارجية، والتساؤل عن الكيف، ولا يتعدى ذلك إلى التساؤل عن علة وجود الظاهرة"¹⁵، وهذا ما يؤكد الدكتور عبده الراجحي بقوله: "إن وجود الأثر المنطقي في النحو العربي دليل على مكانة الجانب "العقلي"، ووجود الجانب العقلي في النحو، وبخاصة في مظهره المنطقي كان عنصراً أساسياً من عناصر النقد الذي وجهه الوصفيون إلى النحو التقليدي، ومن ثم وجهه المحدثون إلى النحو العربي"¹⁶.

نستنتج أن بذور المنهج الوصفي أو البنيوي كانت منغرسه في تراثنا العربي، خاصة في دراسة النحو العربي القديم الذي تكثرت فيه المظاهر الوصفية عند اتصال النحاة بالواقع اللغوي وأخذ اللغة من الأفواه، لكن كان همهم توجيه النقد للنحو العربي وبيان جوانب القصور والنقص فيه. ورغم ذلك نحن متأكدون أن هذا المنهج لم يكن خفياً على أذهانهم، فقد كانت مؤلفاتهم حافلة به، إذ اعتمدوا على السماع والاستعمال والتصنيف والاستقراء التي تعدّ هذه الأخيرة أساس المنهج الوصفي، غير أنهم لم يصيغوا نظرية عالمية كالتالي أسس لها دي سوسير.

ب - المنهج التحويلي التوليدي: "قامت المدرسة التوليدية التحويلية، التي كان رائدها "تشومسكي" في الدراسات الغربية بمجموعة من الأسس المتمثلة في تحديد صيغة القواعد العربية التي تقوم على قدرة المتكلم في إنتاج الجمل التي لم يسمعها من قبل ويفهمها، لذا نجد أن القواعد الألسنية التحويلية التوليدية (تعتبر أن الجملة هي الوحدة الأساسية للبحث الألسني، فتنتقل هذه القواعد من قاعدة بناء الجملة و تلزم بوضع وصف بنياني يقدم كافة المعلومات عن الجملة وعناصرها

المؤلفة، عبر قاعدة بناء الجملة بالذات، فيكون وصف البنائي هذا بمثابة تحليل الجملة"¹⁷، وقواعد اللغة هنا تفصل التوافق بين الصنف و الدلالة، أي بما هو بنية سطحية وبنية عميقة.

فالمنهج التحويلي التوليدي يهتم بما هو داخلي، أي البنية العميقة، ومنها تنتقل إلى الظاهر أو الشكل، وقد بنت نظريتها على أساس توليد الجمل والتحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية وفق القواعد التحويلية، ويعود المبنى العميق للجمل ذا أهمية كبيرة في البحث اللغوي.

وقد تطفّن إليه النحاة العرب القدامى و هذا ما يؤكده "عبد الرحمن الحاج الصالح" بقوله "فإن المدرسة التوليدية في النظرية "standard" لا تعرف إلا نوعا واحدا من التحويل وهو الذي يربط بين ما يسمونه بالبنية العميقة و البنية السطحية، فهذا نظيره من النظرية العربية وهو التحويل التقديري، فكل كلام يحتمل أكثر من معنى -في أصل الوضع- فإن النحاة يقدرّون لكل معنى لفظاً"¹⁸.

وهذه الفكرة لم تكن بعيدة عن فكر أعلام تراثنا العربي، فقد تطفّن إليها عبد القاهر الجرجاني بقوله "ليس الغرض بالنظم أن توالّت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل...وأما ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظام الذي معناه ضم الشي واتفق"¹⁹، فقد حدّد الفروق بين العميق و غير العميق من عناصر الجمل، وذلك عندما فرق بين النظم والترتيب والبناء والتعليق، فجعل النظم للمعاني في النفس، وهو ما يصطلح عليه البنية العميقة عند تشومسكي، أمّا البناء فهو البنية السطحية الحاصلة بعد التركيب بواسطة الكلمات، وأمّا التعليق فهو الجانب الدلالي بين هذه الكلمات التي في السياق.

ولقد أكد لنا "تمام حسن" أن التراث العربي لم يكن بعيدا عن هذه الأفكار التي تبنتها هذه المدرسة التوليدية التحويلية، وكانت حجّته في ذلك أن كل تطبيق على مذهب النحو التوليدي، قد تمّ بالاستناد إلى القواعد النحو في العربية، إذا نجد

فكرة كيفية تركيب الكلام الذي ينطلق من الفرد المتكلم، الذي يمتاز بالتجديد والاستمرارية، وهو ما يعني "بالقدرة الإبداعية عند تشومسكي"، وهي "استعمال لنظام اللغة استعمالاً ابتكارياً، تحديداً، لا مجرد تقليد سلبي لقواعده، وتمثل في القدرة على إنتاج غير محدود للجمل، انطلاقاً من العدد المحصور من الكلمات والقواعد الثابتة في ذهن المتكلم"²⁰.

كذلك اهتم تشومسكي بالبنية التركيبية، وهي أن تكون الجملة السليمة من ناحية اللفظ ومن تركيبها النحوي ومن الناحية المعنوية"²¹. وقد أكد عبد الرحمن الحاج لصالح لهذا الطرح من خلال "مفهوم الاستقامة" والذي جسده سيبويه في كتابه (الكتاب) إذ ميز بين السلامة الراجعة إلى اللفظ و السلامة الخاصة بالمعنى و السلامة التي يقتضيها القياس والسلامة التي يفترضها الاستعمال الحقيقي للناطقين وذلك في باب "الاستقامة من الكلام والإحالة: "...فمنه مستقيم حسن، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن، فقولك "أتيتك الكتاب أمس وسأتيك غداً، وأما محال فإن تنقص أول كلامك بآخره..."²²، ومن هنا جاء التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى، إذ حدّد أو فسّر باللجوء إلى اعتبارات تخص المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي، أما إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ دون أي اعتبار للمعنى فهو تحليل نحوي و الخلط بينهما _ كما يقول الحاج الصالح _ يعتبر خطأ و تقصيراً...وقد بين ذلك النحاة أن اللفظ هو الأوّل لأنه هو المتبادر إلى ذهن أولاً ثم يفهم منه المعنى، ويترتب عن ذلك أن الانطلاق في التحليل يجب أن يكون من اللفظ في أبسط أحواله وهو الانفراد..."²³.

ومن خلال نظرية مبدأ "الانفصال و الابتداء" يشرح لنا الدكتور "عبد الرحمن الحاج الصالح" بقوله: "أما التوليديون التحويليون فيفترضون أن كل جملة تتكون من سكونين "اسمي وفعلي"، ويمثّلون هذه البنية بمشجرين: الأوّل للبنية العميقة والثاني للبنية السطحية."²⁴ ويشترط كذلك سلامة الجملة من حيث التركيب النحوي ومن الناحية المعنوية، وهو ينطلق في تحليله من الحدث الكلامي، أي من

الخطاب وبمعايير الانفصال والابتداء يكون قطعة منفردة من السلسلة الكلامية المفيدة. ويقول في هذا الصدد: " كل ما ينفصل و يبدأ به هو مفردة أو كلمة، أي أصل تتولد فيه الفروع، ومن هنا صار من الضروري أن يتخذ مبدأ الانفصال واعتماده معياراً أساسياً لتحديد أقل ما ينطق به، أي الكلمة، وقد سماها النحاة الأولون الاسم المفرد أو ما بمنزلته..."²⁵.

من هذا القول نستخلص، أن النحاة الأوائل انطلقوا في تحليلهم للغة من (الاسم المفرد) وهو النواة الذي يتفرع منها أشياء أخرى، وقد سماها الخليل بالاسم المضممر كما أطلق عليه ابن يعيش والرضي الاستريادي مصطلح (اللفظة) وهو يقصد أن كل وحدة لغوية قابلة للانفصال عما قبلها وما بعدها من الوحدات اللغوية، بحيث كل وحدة في الكلام ابتداء، والوقوف عليها حسب موقعها في الكلام، فالتحويل الذي يحدث بالزيادة والتعاقب سواء قبلية أو بعدية، فالزيادة بالتحويل (لزيادة والتعاقب)، هو الذي يحدد الوحدات في النظرية الخيلية، وكل وحدة من الوحدات محمولة بعضها على بعض، وسَمَّى النحاة هذه القابلية بـ(التمكّن).

كما يوجد أمر آخر غفل عنه الدارسون الغربيون بما فيهم التحويليون التوليديون، وهو ضرورة الانطلاق في التحليل من اللفظة، كونهم ينطلقون في تحليلهم من الجملة المفيدة لاعتمادهم الخطاب أداة التقطيع لاستخراج الوحدات، بمعنى أن "النحاة العرب... ينطلقون من التحويلات لأجل تحديد الوحدات، حيث يحملون القطع القابلة للانفراد، أي الابتداء والانفصال بعضها عن البعض فتنعكس التبعية، ويدرك التابع من المتبوع، وتتجلى المواضع التي تختص بكل وحدة، ومجموع هذه الوقائع يكون ما تسميه اللسانيات الخيلية المثال أو الحد"²⁶.

ونجد أن المثال كمفهوم عربي لا مقابل له في اللسانيات الغربية²⁷، فهو قابل للتطبيق على اللفظة أو على التركيب، دون أن يكون مقيداً بجزء من الخطاب.

جـ. المنهج التداولي: يعتقد بعض الباحثين أن القول بالمنهج أو النظرية أمراً غير مقبول أو سابقاً لأوانه على الأقل، ذلك أن الأبحاث فيه لم ترق بعد إلى درجة بناء

نمط إجرائي ونظري متكامل ومتفق عليه بين اللغويين بشكل منسجم، على غرار البنيوية والسيمائية ...، ولأن هذا الدرس لا يزال حديث العهد، غير أن كثرة تناول البحوث الأكاديمية له بالمقاربات والإجراءات التطبيقية جعلت منه واقعا، وإن لم تتفق على الخطوات التي يجب اتباعها فيه، ومع ذلك نجد أن جل الاجتهادات في هذا الإجراء التحليلي كانت متقاربة، فيما ذهبت إليه من خطوات شملت الجوانب الأساسية للدرس التداولي والتي هي تحليل الحدث (الفعل) الكلامي، للوظائف التداولية (المقصدية- الحجاج) ويمكن تعريف هذا المنهج على أنه: "وسيلة متكاملة ومتداخلة الإجراءات بشكل عبر تخصصي يمنحه ثراء على مستوى الإجراء والنتيجة، ولاسيما بتطبيقه على مستوى النصوص التراثية لما فيها من مستويات مقامية وتشخيصية، وتوفرها على مساحات شاسعة من الطبقات الكلامية (مستويات أفعال الكلام) على اعتبار هذه الأخيرة مبحثا مهما من مباحث التداولية"²⁸.

ثم إن المنهج التداولي يهتم في مقارباته للنصوص- حسب الدكتور صلاح فضل- بالخطاب وفاعله (منشئه)، "فعلى التحليل أن يشمل كل ما يشير إليه النص من موقف الفاعل الداخلي تجاه قوله وهذا فإن النص يبقى دائما متصلا بفاعله (بشكل مباشر أو غير مباشر)، يعبر فيه إما عن رأيه أو يشير إلى تجربة أو حدث متعلق به، أو متصلا بوقائع ومعارف موضوعية بعيدة عن القائل"²⁹.

ويتضح هذا المنهج جليا في النظرية الخيلية الحديثة وذلك من خلال مفهوم العامل الذي يقوم على مبدأ التبعية والحمل على الأول، أي حمل الشيء، فالعامل في هذه النظرية هو "العنصر الفعّال الذي يؤثر في غيره سواء الناحية اللفظية أو المعنوية، كالأفعال وما شابهها التي تؤثر في الحركات الإعرابية، التي تظهر في أواخر الكلم"³⁰، وهي العلاقات الموجودة بين الألفاظ الموجودة بين الألفاظ، ويتجلى ذلك بوضوح في تمييز القدامى بين جانبيين اثنين في تحليل اللغة، كما يقول عبد الرحمن الحاج صالح: "الجانب اللفظي الصوري الذي يخص اللفظ في ذاته وهيكله

وصيغته، أي المعنى الموضوع له بقطع النظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة الوضعية جانب الخطاب، ويتمثل في كيفية استعمال تلك الألفاظ ومدلولاتها في عملية الإفادة³¹، وبوصف الخطاب ميدان استعمال اللغة، فإن المعنى لا يتبلور إلا من خلال عملية قولية، أي التلقظ الذي يمنح اللغة طابعها التداولي، بمعنى الاهتمام بالفعل الذاتي في استعمال اللغة، وبمعنى آخر الإنجاز اللغوي في سياق معيّن من خلال تجسيد تتابعات لغوية من وحدات صوتية وصرفية أو سياق موضوعي.

فنتبين من ذلك أن العناصر التركيبية هي عناصر خاصة مجردة، وأن هناك عناصر أخرى أو زوائد (تدخل أو تخرج) على النواة التركيبية، بمعنى أن تمييز النحاة الأوائل بين جانب اللفظي البنيوي وبين الجانب الوظيفي الإبلاغي لم يقتصر على الجانب الانفرادي فحسب بل تعداه إلى المستوى التركيبي، فتدخل على الجملة النواة زوائد وتتوزع بذلك المعاني حسب استعمالها.

وقد نوهت "خولة طالب الإبراهيمي" بقيمة اللفظة في التحليل العربي بأهميتها في مستوى التطبيقات التربوية بقولها "إن لا يمكن أن تستثمر نتائج هذا المفهوم عند اختيار المادة النحوية المراد تعليمها وكذلك عند تركيبها وتحديد الكيفية التي ينبغي أن تعرض بها على المتعلمين"³²، ويعني ذلك أن النحاة العرب ينطلقون من البنية اللفظية الجامعة بينها؛ أي للجملة، والتي يشترك فيها العدد اللامتناهي من الجمل، وهو الذي يسميه النحاة قياساً ومثالاً، وهو الذي تبنى عليه العناصر وتتفرغ منه الفروع الأخرى، وبذلك يستنتجون أن هناك بنيتين لفظيتين للجملة هما "العامل" و"المعمول".

ومن هذا وذاك، نجد أن العرب تعاملوا مع اللغة بطريقة علمية منذ القدم ولم تشتق مناهجها من الدراسات اللسانية الغربية، بل كانت منغرسه فيها منذ بدايات التراث، إذ زاوجت بين المنهج الوصفي والمنهج العقلي وتركت لنا تراثاً لغوياً ثرياً يستقطب الباحثين لتطويره.

خاتمة: إن المناهج اللغوية الحديثة ليست بالغريبة عن علماء اللغة العرب قديماً، لكنها كانت متداخلة ومتكاملة لحاجة الدرس اللغوي في ذلك الوقت، فلم تبرز مبادئ كل منهج على حدة، ولهذا جاءت دراساتهم في أشكال متقطعة ومختصرة وغامضة، فهم على دراية بأن الحروف تنتظم في كلمات، والكلمات تنتظم في تراكيب، وأن كل وحدة على علاقة مع غيرها من الوحدات الأخرى دون إهمال المعنى أو السياق، لذلك لم يظهر لهم النقص كما ظهر في المناهج الغربية، حيث إن المنهج البنيوي اهتم بالشكل دون المعنى، ليأتي بعده المنهج التوليدي التحويلي ليتدارك ذلك فيهتم بالمعنى والتركيب، ثم يأتي المنهج التداولي فيجمل ما تضمنه المنهجان، فيهتم بالمعنى وبتسياق الكلام، وفصلهم بين هذه المناهج جعل بحوثهم تتصف بالعلمية والدقة، عكس ما نجده في البحوث العربية القديمة، فعدم الفصل بين هذه المناهج جعلها تبدو غامضة ومعقدة، مما جعلها صعبة على المتلقي أو القارئ أو الباحث، لذلك سعى علماءنا المحدثون جاهدين لتوضيحها وتيسيرها، مبرهنين برهاناً قاطعاً على أن اللغة العربية لغة حيّة، علمية، مرنة وليست عقيمة كما يدّعي البعض.

وفي الختام نقول أنّ المناهج اللغوية تلعب دوراً مهماً في كشف ملامح الظاهرة اللغوية، وهي سلاح الباحث في بحثه عن الحقيقة. وللباحث أن يتخير منها ما يشاء، فكلّها تؤدي الغرض من جانب، وتصوّر المشهد من زاوية. ولكن سير الباحث على منهج ما، لا يعني بالضرورة ألا يستعين بالمناهج الأخرى، "فما قيمة ألا تأخذ بقواعد المنهج الوصفي في جزئية ما، وأنت تسير في بحث يتطلب في عمومته المنهج التاريخي؟" بل إنّ ما يعزز نتائج البحث، ويجعلها أكثر دقة وموضوعية، هو الاستعانة بكل إمكانات المناهج، وتسخيرها في رصد الظاهرة اللغوية من جوانبها كلّها.

- 1- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1971م، ص78.
- 2- حسام الهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، دار المناهل للطباعة، مصر، ط1، 1994م، ص13.
- 3- فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترصالح القرمادي وآخرين، ص28.
- 4- حسام الهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مرجع سابق، ص18.
- 5- أحمد محمد قدور، اللسانيات والمصطلح، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد 81، الجزء 04، دمشق، ص11.
- 6- أنيس فريجة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981، ص25.
- 7- عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1957، ص100.
- 8- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر الجزائر، 2007، مرجع سابق، ج01، ص36.
- 9- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر الجزائر، 2007، مرجع سابق، ج01، ص132.
- 10- أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، ج2، بيروت، ط10، ص289.
- 11- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، مرجع سابق، ص209.
- 12- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح، محمد عبده، بيروت، ط3، 2001، ص04.
- 13- عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي للغة العربية، مجلة اللسانيات صادرة عن مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، ع04، 1974، الجزائر، ص38.
- 14- فاطمة الهاشي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ايتراك للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص99.
- 15- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، ط3، 1993، 58/1.
- 16- عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص104-105.
- 17- ميشال زكريا، بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1992، ص51.
- 18- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، مرجع سابق، ص218، 219.
- 19- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، مرجع سابق، ص51.
- 20- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث الترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2004، ص47.

- 21- ينظر " ميشال زكريا، بحوث ألسنية عربية، مرجع سابق، ص 11-45 للتفصيل أكثر حول مفهوم الاستقامة عند سيوييه وعند تشومسكي.
- 22- سيوييه، الكتاب، تج، عبد السلام هارون، ج 1، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1991 ص 25، 26. دار الفكر الإسلامي، المغرب، ط 1، 1997.
- 23- عبد الرحمن الحاج الصالح، النظرية الخليلية الحديثة والدراسات الحالية في العالم العربي، وقائع ندوة جهوية حول تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الفكر الإسلامي، المغرب، ط 1، 1997.
- 24- عبد الرحمن الحاج الصالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، مرجع سابق، ص 248.
- 25- المرجع نفسه، ص 249.
- 26- نسيمه بابي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء اللسانيات، مذكرة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2010، 2011، ص 61، 62.
- 27- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، مرجع سابق، ص 251.
- 28- هاجر مدقن، آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي، الملتقى الوطني الأول في الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة والأدب، جامعة قاصدي مرباح /ورقلة - الجزائر، أكتوبر 2011، ص 83.
- 29- صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1992، ص 90.
- 30- صليحة جبروني، كتاب الفوائد والقواعد للثمانيني، دراسة وصفية تحليلية، مذكرة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011، 2012، ص 55.
- 31- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، مرجع سابق، ص 221، 222.
- 32- خولة طالب إبراهيمي، مبادئ اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط 2، 2006، ص 99.